المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

دراسات

الجالية العربية المهاجرة:

أي دور لترشيد العلاقات بين الروس والعرب؟

محمد الحاجي الدريسي | فبراير 2017

الجالية العربية المهاجرة: أي دور لترشيد العلاقات بين الروس والعرب؟

سلسلة: دراسات

محمد الحاجي الدريسي | فبراير 2017

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2017

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات
شارع رقم: 826 – منطقة 66
الدفنة
ص. ب: 10277
الدّوحـة، قطـر
هاتف: 44199777 974+ | فاكس: 44831651 974+
www.dohainstitute.org

المحتويات

مقدّمة 1

1. أهداف البحث 1
2. أهمية البحث 1
3. مشكلة البحث 2
4. فروض البحث 2
5. منهج البحث 2
6. صعوبات البحث 3

أولًا: الهجرة العربية بروسيا 3

1. الهجرة العربية بروسيا: مدى تطورها 3
2. بنية الهجرة العربية بروسيا 12

ثانيًا: دور المهاجرين في ترشيد العلاقات العربية الروسية والإمكانات المتاحة 17

1. ضرورة بناء جالية فعالة بروسيا: درس أميركا اللاتينية 18
2. ديبلوماسية الدياسبورا ونقل الخبرة: أي دور لجمعيات المهاجرين وشبكاتهم بروسيا؟ 22

خاتمة 25

المراجع 27

مقدّمة

الهجرة ظاهرة عالمية، تتسع باستمرار وتؤثر في تشكيل مختلف الكيانات المجتمعية سواء الكبرى منها أو الصغرى. وتؤثر في البنى العالمية والإقليمية والوطنية، سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وقيميًا، كما أنها تحدد طبيعة العلاقات بين هذه الكيانات. وبما أنّ هذه الظاهرة ترتبط بضوابط ومحددات متعددة، فإن المتغيرات المؤثرة فيها تتخذ أشكالًا متنوعة، وتخضع لطبيعة النظم التي تمر بها الدول في مختلف المراحل التاريخية. إنّ هذه الظاهرة تتميز بكونها أكثر دينامية وتعقيدًا؛ إذ تتشابك خيوطها مع مختلف الظواهر الأخرى بطرق شتى، ما يجعلها مفتوحة على صور المناولة والتحليل، وكل ذلك ينطبق على الهجرة العربية إلى روسيا.

1. أهداف البحث

تتجلى أهم أهداف هذه الدراسة في:

- إعطاء صور واضحة عن تطور حجم الجالية العربية في روسيا منذ سقوط الاتحاد السوفياتي إلى اليوم.
- رسم الخريطة الديموغرافية والمهنية للجالية العربية بالديار الروسية.
- إبراز مكامن القوة لدى هذه الجالية، ودورها في رسم دبلوماسية موازية اقتصادية وثقافية وعلمية.

2. أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تناوله قضية من أهم قضايا الساعة، متمثّلة بالهجرة العربية إلى روسيا. وهذه القضية لم يتناولها بالدرس والتحليل أحد مراكز الأبحاث قصد إبراز طبيعتها وخصوصياتها التي تميزها عن باقي أنماط الهجرة الدولية. فهي إحدى الهجرات الدولية التي طبعتها الأيديولوجيا والسياسة أكثر من غيرها من الهجرات التي طبعت بعوامل طرد وجذب اقتصادية ومادية.

إضافة إلى ذلك، فهذه الهجرة تتسم بالغموض وغياب الوضوح على مختلف المستويات؛ وذلك يعود إلى طبيعة السياستين الروسية الداخلية والخارجية وما يطبعها من تكتم على مختلف المستويات، لا سيما الهجراتية، كما أنّ روسيا تعاني نقصًا ديموغرافيًا خطيرًا.

كذلك، وبعد الاطلاع على حجم الهجرة العربية إلى روسيا وطبيعتها، اتضح أنه يمكن أن يكون لها دور ريادي في تصويب مسار العلاقات العربية الروسية، عبر بناء النخب المهاجرة لدبلوماسية موازية على المستويات الاقتصادية والثقافية والعلمية.

3. مشكلة البحث

يتمحور الإشكال المركزي لهذا البحث حول مدى قدرة الجالية العربية في روسيا على الاضطلاع بأدوار طلائعية، تمكّن من بناء علاقات عربية – روسية غنية ومتنوعة، بدلًا من العلاقات الوحيدة الاتجاه، ذات الطابع السياسي الصرف من دون مراعاة الحاجات العربية الأخرى التي يمكن أن تجيب عنها هذه العلاقات. لهذا، يجب دراسة هذه الجالية في حجمها أولًا، وبنيتها ثانيًا، قصد معرفة مدى فاعليتها في روسيا.

4. فروض البحث

تتمثّل فروض هذا البحث بما يلي:

- تعرف روسيا هجرة عربية مهمة على مستوى الكيف.
- تتميز الجالية العربية بوجود عوامل تمكنها من نقل جزء مهم من المعرفة الروسية إلى البلاد العربية.
- للجالية العربية إمكانات مهمة في خدمة القضايا العربية بروسيا.

5. منهج البحث

يتطلب تناول مثل هذا الموضوع الارتكاز أساسًا على النظرية التحليلية. إنّ النظرة التفاعلية للهجرة العربية إلى روسيا تتطلب النظر إلى النسق الذي تتحرك من داخله الهجرة الدولية عامة والهجرة العربية خاصة، والعناصر التي يتفاعل معها العرب؛ وأعني الدول وغيرها، وطبيعة هذا التفاعل، مع مراعاة مدخلات هذا التفاعل ومخرجاته على مختلف المستويات الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية والعلمية. كل ذلك يتم في بيئات يتصل بعضها ببعض، والمقصود هنا البيئات الوطنية والإقليمية والدولية.

6. صعوبات البحث

تتجلى أهم صعوبات هذا البحث في:

- شح المعطيات الرسمية العربية المتعلقة بالهجرة العربية عامة والهجرة إلى روسيا خاصة.
- غياب الكتابات الأكاديمية العربية والدولية التي تُعنى بهذا الموضوع.
- عدم وجود مراكز أبحاث تخصص جانبًا من اهتمامها لهذا المسار الهجراتي.

أولًا: الهجرة العربية بروسيا

أصبحت الهجرة في العصر الحديث ظاهرة معيشة في العالم العربي؛ ذلك أنّ المنطقة العربية قد تحولت إلى منطقة إرسال واستقبال وعبور لمختلف الفئات المهاجرة. ويعزى هذا الواقع إلى كون هذه المنطقة ساحة للعلاقات الدولية الراهنة وبؤرة علاقات القوة الإقليمية والدولية.

لذلك، لم تقتصر حركة المهاجرين العرب على التوجه إلى أوروبا وأميركا الشمالية، نظرًا للارتباطات السياسية والاقتصادية التي تجمع هذه الأطراف، وإنما اتجه قسم مهم منهم، ولا سيما النخبة، إلى الديار الروسية.

1. الهجرة العربية بروسيا: مدى تطورها

تميزت العلاقات العربية – السوفياتية بالتنوع والاختلاف، فالملكيات نحت منحى معاديًا للتوجه الاشتراكي، بل وشاركت في مواجهته بالمال والسلاح في أفغانستان، بينما انخرطت في فلكه أغلبية الجمهوريات التي كان لها دور مهم في مسار السياسة الإقليمية العربية في فترة الحرب الباردة.

لكن هذا الواقع لم يؤثر كثيرًا في توجه المهاجرين العرب إلى الاتحاد السوفياتي، ثم إلى روسيا فيما بعد، لا سيما على مستوى البلدان الأكثر إيفادًا للمهاجرين كالمغرب مثلًا.

أ- الهجرة العربية إلى روسيا نهاية القرن العشرين

تفيد التقارير الدولية والمعنية بقضايا الهجرة الدولية أنّ حجم الهجرة خلال الفترات الأخيرة في تزايد؛ فقد ارتفع عدد المهاجرين في العالم خلال الفترة 1990–2005 بحوالى 35 مليونًا. واتجهت معظم هذه الهجرات الحديثة إلى

البلدان المصنعة الغربية، إذ يهاجر واحد من كل ثلاثة إلى إحدى الدول الأوروبية، ويوجد واحد من أربعة مهاجرين بالولايات المتحدة الأميركية[1]. ويتبين أيضًا تناقص عدد الدول الرافضة للهجرة إليها، فتراجعت نسبة الدول الراغبة في الحد من الهجرة من 40% إلى 22% خلال الفترة ما بين 1996 و2005[2]. وفي هذا الاتجاه، تفيد إحصاءات غير رسمية أنّ تعداد الجاليات العربية في روسيا الاتحادية يتجاوز أربعين ألف شخص، ربعهم (أكثر من عشرة آلاف) يقيمون في العاصمة موسكو، فيما يقيم معظم الباقين في بطرسبورغ والمدن الروسية الكبيرة الأخرى[3].

هاجر جزء من هؤلاء العرب بصفة طلبة، إذ كانت الجامعات السوفياتية تعرف توافد الطلبة العرب بكثرة، منهم من يستقر بديار المهجر، ومنهم من يعود إلى بلده. فقد عرفت نخب وكوادر عربية عديدة تكوينها الجامعي والعلمي بالديار الروسية. ففي سورية، 35 ألفًا من الملتحقين بالنخبة في سورية كلهم تم تكوينهم على يد الاتحاد السوفياتي[4]. ومن ثمّ فترابط المصالح السوفياتية – السورية مؤسس في جانب مهم منه على التكوين العلمي والأكاديمي؛ ما يؤدي إلى استمرار الوجود الروسي بصور مختلفة في هذا البلد الشامي.

في الوقت نفسه، عرف الاتحاد السوفياتي، وهو على أهبة السقوط، وجود عدد مهم من الطلبة العرب على أراضيه. فقد مثلوا حوالى ربع الطلبة الأجانب بالديار السوفياتية (23.6%) خلال سنة 1990[5]، وذلك ما يناهز 15766 طالبًا عربيًا كانوا يتابعون دراستهم بهذه البلاد.

في الواقع، صاحب العولمة بروز أسواق كوكبية عابرة للجنسيات، فبعد أن كانت الجنسية من بين أهم محددات استقبال الأيدي العاملة، إذ كانت كندا تركز على الرجل الأبيض فقط على سبيل المثال، أضحت الهجرة إليها تشمل كل الجنسيات ومن كل القارات، فوصلت الهجرة إليها من الصين والهند في عام 1999 إلى 30% من إجمالي المهاجرين. وبعد أن كانت الهجرة إلى الولايات المتحدة تأتي من 21 بلدًا وصلت إلى 41 بلدًا، وزاد

---

[1] جامعة الدول العربية، قطاع الشؤون الاجتماعية، إدارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، **التقرير الإقليمي لهجرة العمل العربية 2006**، ص 9 (مايو 2006)، شوهد في 2017/1/29، في: http://bit.ly/2kGKQ5E

[2] المرجع نفسه.

[3] أرتيوم كابشوك، "كيف تعيش الجاليات العربية في موسكو؟" برنامج بانوراما، قناة **روسيا اليوم**، 2011/5/1، شوهد في 2017/1/29، في: http://bit.ly/2jECx8A

[4] Marek Menkiszak, “Responsibility to protect… itself?: Russia’s strategy towards the crisis in syria,” The Finnish institute of international Affairs, Briefing Paper 131 (May 2013), p. 5.

[5] انظر:

Eliam Nguni, *Foreign Students in Higher Education: Comparative Statistical Data for 1980 and 1990*, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organisation, Division of Statistics on Education, Paris (April 1993), p. 7.

اتجاهها نحو العمالة الآسيوية بكثافة واضحة بعد أن كانت تضع قيودًا أمام هجرة العمالة من هذه البلدان[6]. فانهيار المعسكر الشرقي ساهم في فتح الحدود بين الشعوب ليس فقط بين طرفي القارة الأوروبية الشرقية الغربية، وإنما كذلك بين مختلف بقاع العالم. فالهدف هو تنمية مقدرات الدول بقطاعيها الخاص والعام عبر جلب الكفاءات مهما كان دينها أو أيديولوجيتها. فالكل يتوجه لخدمة الاقتصاد، والأفواج المهاجرة تتجه إلى الأماكن الأكثر ثراء. وهذا المنطق أصبحت تخضع له الهجرة العربية ليس فقط المتوجهة إلى الدول الرأسمالية التقليدية، وإنما كذلك الهجرة العربية المتوجهة صوب دول وسط القارة العجوز وشرقها وعلى رأسها روسيا.

من هنا، عرفت الهجرة العربية في العقد الأخير من نهاية القرن العشرين ارتفاعًا مهمًا على مستوى النخب التي غادرت البلدان العربية في اتجاه بلدن الاستقبال، بينما تقهقر حجم هجرة العمالية غير المؤهلة. في الوقت نفسه، تم فتح حدود دول أوروبا الغربية في وجه المهاجرين القادمين من دول أوروبا الشرقية التي شرعت في ولوج اقتصاد السوق؛ ما ساعد العديد من الدول الأوروبية على الاستغناء الجزئي عن القادمين من الضفة الجنوبية، فدفع هذا الواقع الكثير من المهاجرين العرب إلى التوجه للديار الروسية.

إذًا، فمن بين المهاجرين الأردنيين المتوجهين إلى الديار الأوروبية غادرت فئة مهمة صوب الدولة الروسية، وخلافًا لذلك ففئات قليلة العدد توجهت نحو دول أوروبية أخرى، كما ورد في الشكل (1) أدناه.

[6] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي لهجرة العمل العربية 2006**، ص 9.

الشكل (1)

توزيع المهاجرين الأردنيين بالدول الأوروبية سنة 1994

المصدر: تم إعداد هذا الشكل اعتمادًا على:

Philippe Fargues (ed.), *Mediterranean Migration: 2005 report*, European University Institute (Florence, Italy: 2005), p. 167.

الشكل (2)

تطور الهجرة السورية إلى روسيا خلال الفترة 1997–2005

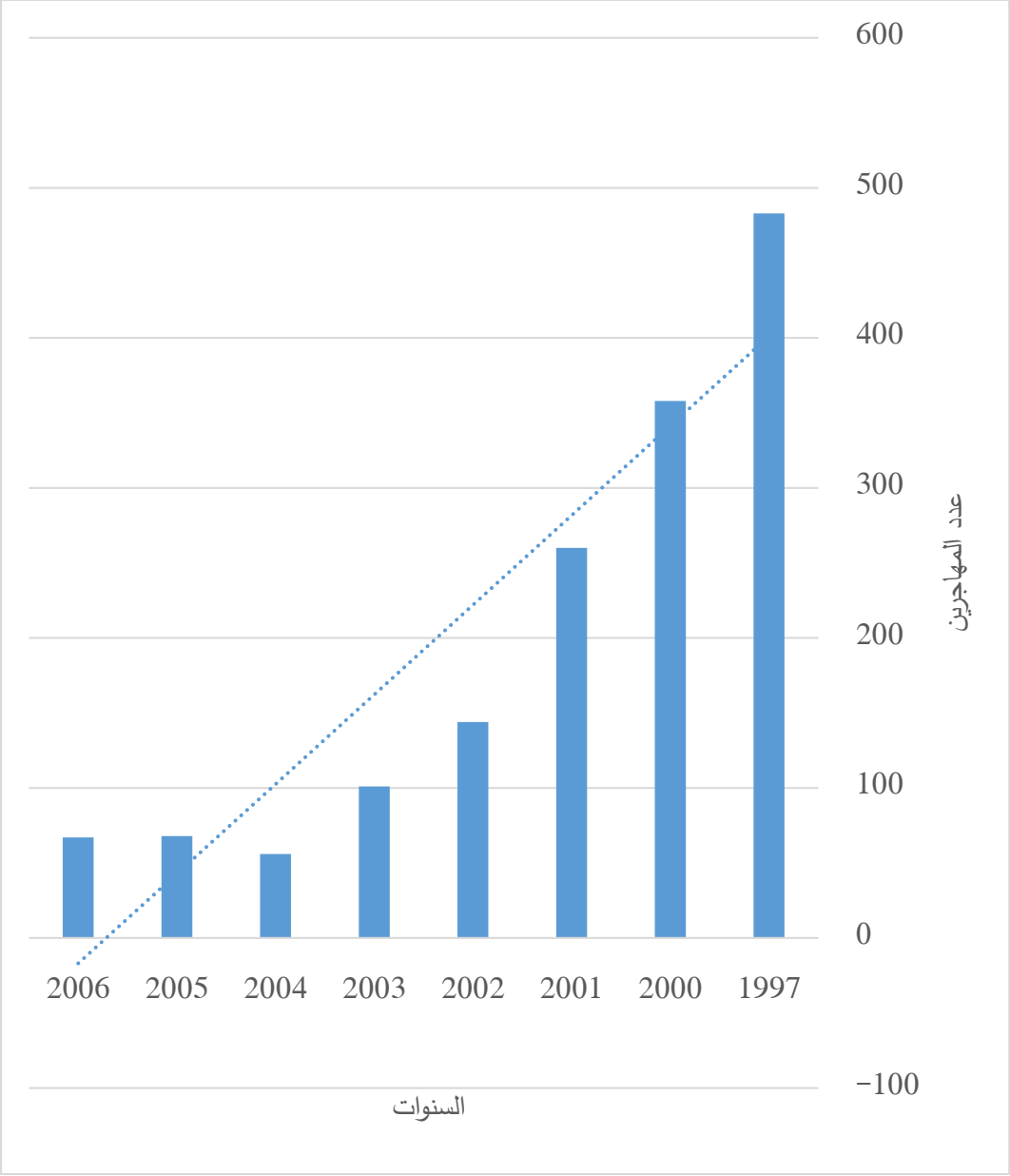

المصدر: تم إعداد هذا الشكل اعتمادًا على:

Sheila Siar, *Migration in the Russian Federation: A Country Profile 2008*, International Organization for Migration, Geneva, Switzerland (October 2008), p. 30.

الشكل (3)

تطور عدد المغاربة المهاجرين المقيمين بروسيا

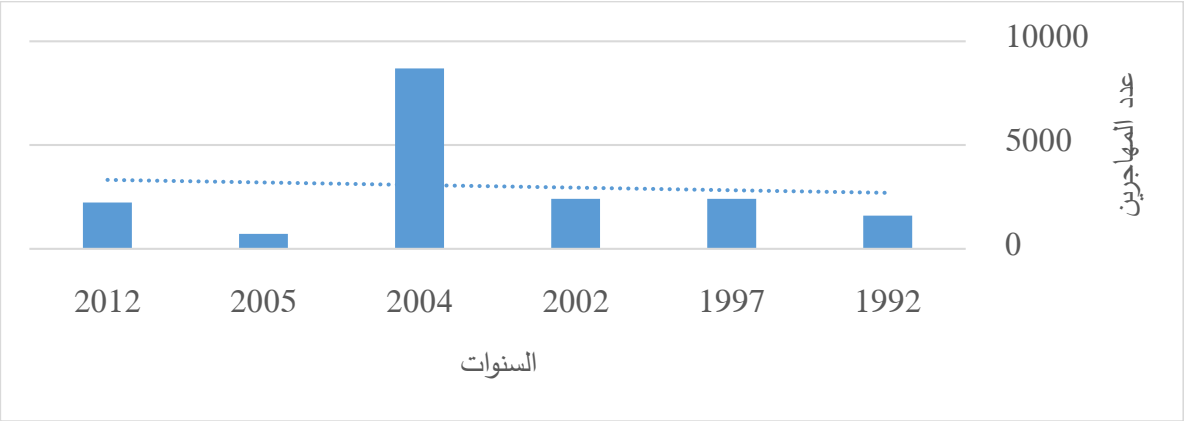

- المصدر: تم إعداد هذا الشكل اعتمادًا على:

الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج، **إحصائيات مغاربة العالم**؛

Fargues (ed.), *Mediterranean Migration: 2005 report*, p. 231; Philippe Fargues (ed.), *Mediterranean Migration: 2006-2007 report*, European University Institute, (Florence, Italy : 2007), p. 183; Zoubir Chattou, *Migrations marocaines en Europe: Le paradoxe des itinéraiares* (Paris: l' Harmattan, 1998), p. 97؛

اتسمت خريطة الهجرة العربية بروسيا بالتنوع على مستوى الزمان والمكان والتوجه السياسي؛ فعلى مستوى الزمان عرفت فترة التسعينيات ارتفاعا مهما في عدد المهاجرين السوريين مقارنة بالعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، انظر الشكل (2). وذلك خلافًا للهجرة المغربية؛ إذ ارتفع حضور المغاربة بروسيا في بداية القرن العشرين مقارنة بالمهاجرين المقيمين خلال العقد الأخير من القرن العشرين، وهو ما يؤكده الشكل (3).

ب- الهجرة العربية إلى روسيا في بداية القرن الواحد والعشرين: بين الهجرة واللجوء

بلغت الزيادة في عدد المهاجرين بين عامي 2000 و2013 حوالى 1.62 مليون مهاجر. كما يتبين جليًّا أنّ أكبر دول عربية من حيث عدد المهاجرين هي مصر، والجزائر، والمغرب، والعراق، وفلسطين، واليمن، وسورية، والأردن، وأخيرًا لبنان. كما تؤكد الإحصاءات المتاحة بأن 40% من المهاجرين العرب يتجهون إلى دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وحوالى 23% إلى بقية دول العالم المتقدم، ويبقى حوالى 31% ضمن الوطن العربي[7].

[7] جامعة الدول العربية، قطاع الشؤون الاجتماعية، إدارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، "حجم وتيارات الهجرة العربية"، في: **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية: الهجرة الدولية والتنمية 2014**، القاهرة، 2014، ص 26.

لم تعرف روسيا توافد مهاجرين عرب بالقدر نفسه الذي تعرفه دول أوروبا الغربية التي تعرف حضورًا مكثفًا لجالية عربية مهاجرة تعد بالملايين، ويعود ذلك إلى مجموعة من العوامل الاقتصادية والسياسية والتاريخية. لكنّ هذا الواقع لم يمنع من وجود جالية عربية بروسيا مؤهلة لأن تحتل مواقع ريادية داخل المجتمع الروسي. فروسيا هي المقصد الرئيس للعديد ممن يرغبون في الحصول على شهادة أكاديمية أو مهنية عليا، أو الحصول على عمل، أو بهدف التجمع العائلي. فقد بلغت نسبة المهاجرين المغاربة إلى روسيا 30% من مجموع المغاربة الموجودين بأوروبا الشرقية سنة 2012، انظر الشكل (4) أدناه.

الشكل (4)

توزيع المهاجرين المغاربة بأوروبا لشرقية سنة 2012

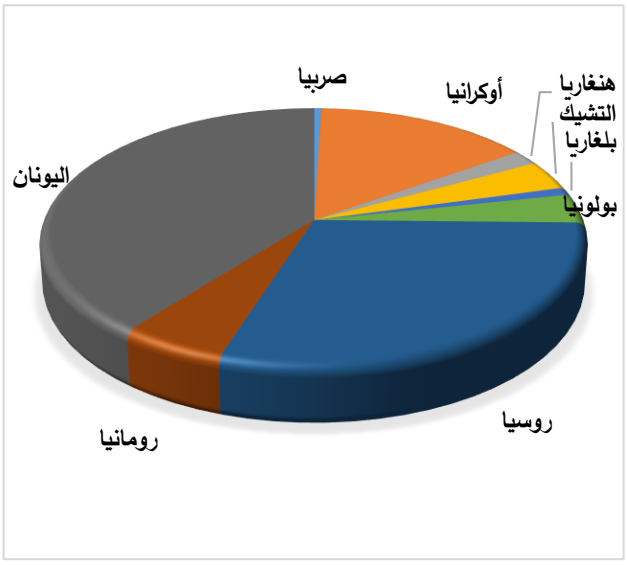

توزيع الجالية المغربية بأوروبا الشرقية سنة 2005

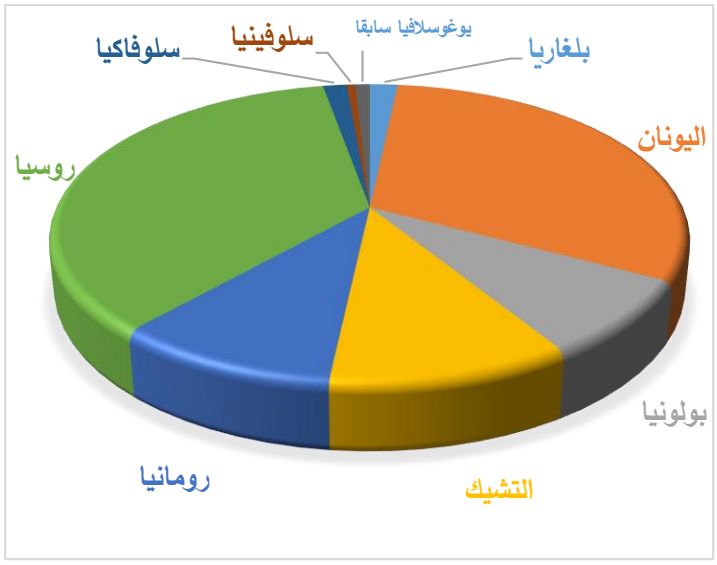

المصدر: تم إعداد هذا الشكل اعتمادًا على:

- الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج، **إحصائيات مغاربة العالم؛**

Mohamed Mghari, "Profil démographique et mobilité géographique des Marocains résidant à l'étranger," in: CERED, *Les Marocains résidants à l'étranger, Analyse des résultats de L'Enquête sur l'insertion socio-économique dans les pays d'accueil* (2007), p. 60.

الشكل (5)

تطور الهجرة السورية إلى روسيا خلال الفترة 1997–2005

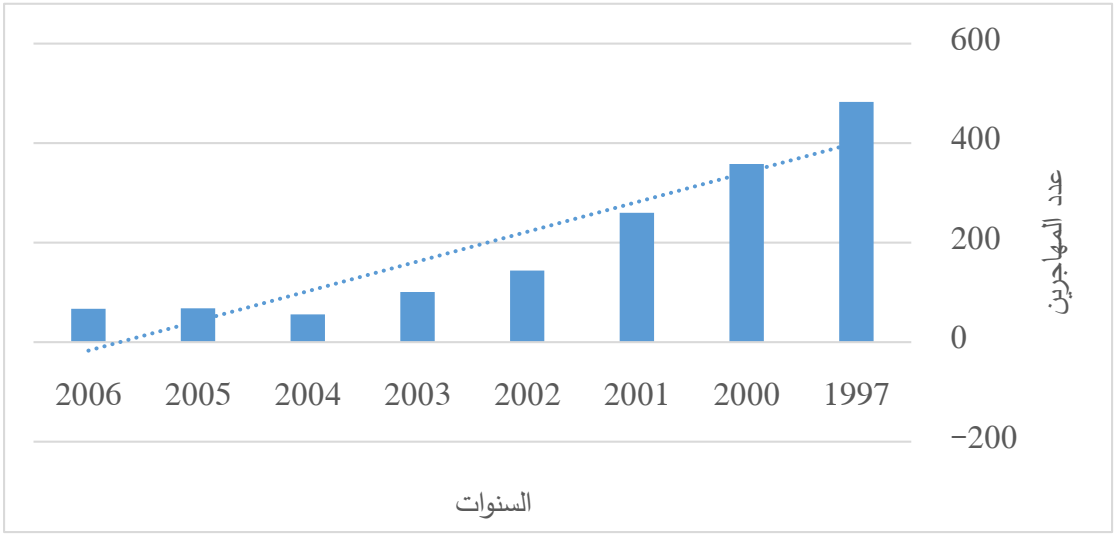

المصدر: تم إعداد هذا الشكل اعتمادًا على: Siar, p. 30.

الشكل (6)

التونسيون المسجلون بالقنصلية التونسية بروسيا وأوكرانيا

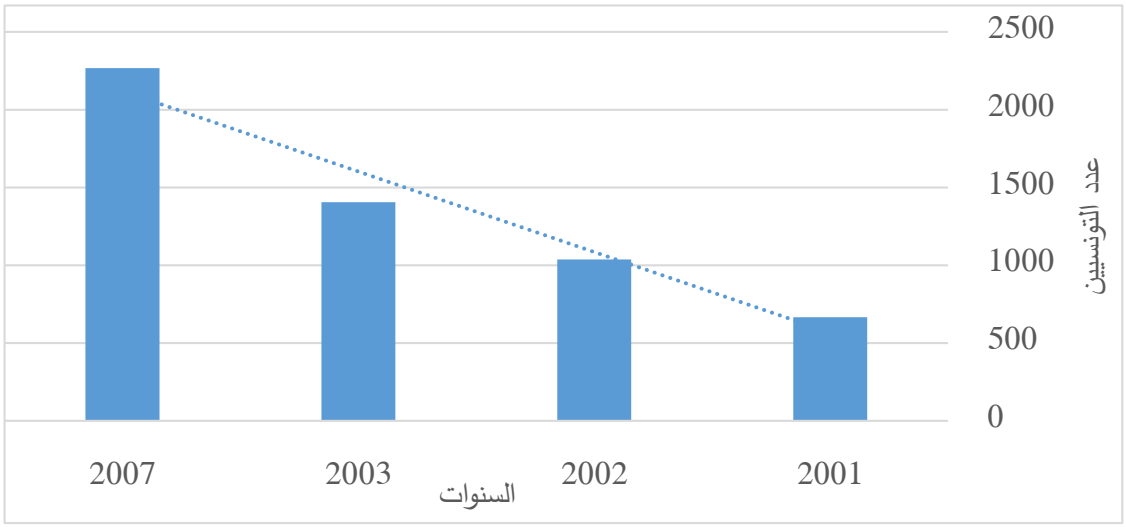

المصدر: تم إعداد هذا الشكل اعتمادًا على:

Fargues (ed.), *Mediterranean Migration: 2005 report*, p. 315; Philippe Fargues (ed.), *Mediterranean Migration: 2008-2009 report*, European University Institute (Florence, Italy: 2009), p. 343.

توجد مؤشرات على ارتفاع حجم الهجرة العربية إلى الخارج في المستقبل، والدليل على ذلك هو حجم الهجرتين التونسية مثلما ورد في الشكل (6)، الهجرة السورية الذي عرف ارتفاعًا ملحوظًا خلال النصف الأول من العقد الثاني من القرن الحادي العشرين نتيجة توافد اللاجئين السوريين، كما جاء في الشكل (7) أدناه. فقد تمثلت أكبر مجموعة من المهاجرين الذين ولجوا إيديغيا الروسية في المجموعة السورية المهاجرة[8]. أمّا بخصوص أعداد اللاجئين السوريين المدرجين في سجلات مفوضية اللاجئين، بروسيا، فإن عددهم يتعدى الألفين[9]، من دون تعداد المهاجرين الذين استقروا بروسيا قبل اضطراب الأوضاع بسورية. والجدير بالذكر أنّ عدد اللاجئين في بلدان الوطن العربي بلغ 7.2 ملايين نسمة عام 2013 غالبيتهم في بلدان المشرق العربي[10].

الشكل (7)

تطور عدد اللاجئين السوريين إلى روسيا خلال الفترة 2003–2013

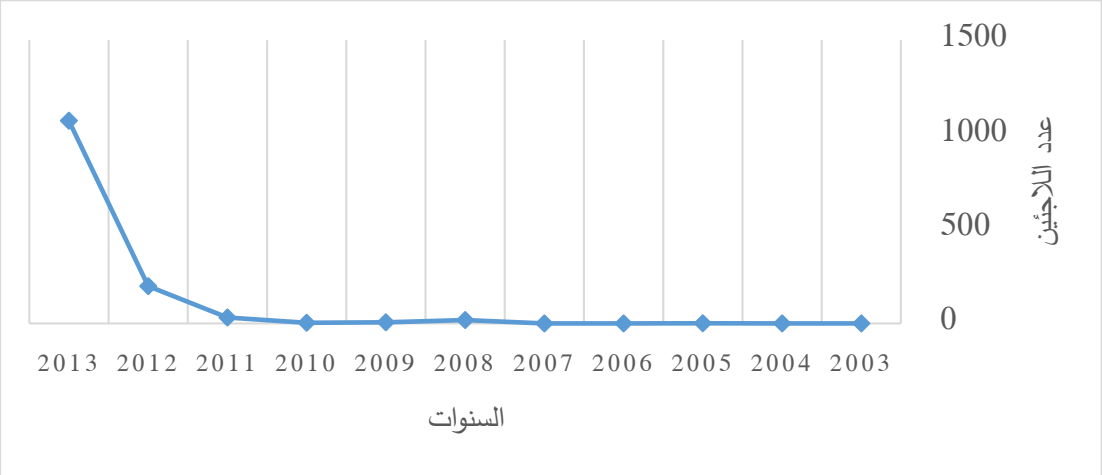

المصدر: تم إعداد هذا الشكل اعتمادًا على:

OECD, *International Migration Outlook 2014* (Paris: OECD Publishing, 2014), p. 356, accessed on 30/1/2017, at: http://dx.doi.org/10.1787/migr_outlook-2014-en

[8] Galina Denisova, "Modern Migration Trend in the south of Russia: a New Challenge?" *The Russian Academic Journal*, vol. 29, no. 3 (2014), p. 61.

[9] أشرف رشيد، "روسيا تخيب آمال اللاجئين السوريين إليها"، **الجزيرة. نت**، 2015/3/10، شوهد في 2017/1/30، في: http://bit.ly/2kg2igt

[10] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية: الهجرة الدولية والتنمية 2014**، ص 22.

إذًا، فروسيا تعرف استقطابًا متزايدًا للمهاجرين العرب نتيجة غياب الاستقرار الذي تعرفه مجموعة من مناطق العالم العربي، في الوقت نفسه فإن رغبة العديد من الطلبة العرب في مواصلة الدراسات العليا في هذا البلد مؤشر على ذلك، لا سيما أنّه قد تمّ إدراج المغرب وسورية ضمن الدول الخمس والعشرين الأولى المرسلة للطلبة إلى روسيا خلال الموسم الدراسي 2011/ 2012[11]، وذلك على ضعف الهجرة السورية إلى روسيا خلال العقد الأول من القرن العشرين، وهو ما تؤكده بيانات الشكل (5).

2. بنية الهجرة العربية بروسيا

تساهم الهجرة الدولية في تنمية العديد من الدول والمساعدة في تقدمها العلمي والاقتصادي. فقد عملت الهجرة على تدعيم النمو الاقتصادي العالمي وأسهمت في تطور الدول والمجتمعات. كما أغنت العديد من الثقافات والحضارات، وقد استمرت في أداء دور مهم سواء على المستوى الوطني أو القطري أو العالمي. فالهجرة تستمد أهميتها من أنّ 232 مليون مهاجر دولي يمثّلون 3.2% من سكان العالم في 2013، وقد نما هذا العدد بانتظام منذ عام 1990[12].

أ- الهجرة العربية إلى روسيا: ارتفاع معدل الذكور والشباب

تخفي النسبة الإجمالية لمشاركة النساء في الهجرة من بلدان الوطن العربي التباينات الإقليمية والتباينات بين الدول داخل الإقليم الواحد؛ إذ تراوح نسبة النساء من إجمالي الهجرة الدولية من بلدان المغرب العربي بين 41.7% في إقليم المشرق العربي و45% في إقليم المغرب العربي طبقًا لتقديرات عام 2013[13]. إذًا، فالهجرة العربية ذات طابع يغلب عليه الذكور لا سيما الهجرة إلى دول كانت تنضوي تحت لواء المعسكر الشرقي سابقًا، ذلك أنّ معدل الإناث لم يتجاوز 26% من مجمل المهاجرين المغاربة إلى هذه الدول. أمّا عن الهجرة المغربية إلى الديار الروسية، فمعدل الإناث يقل عن الربع كما في الشكل (8). وذلك يعود إلى طبيعة الهجرة العربية إلى الديار الروسية من جهة، وإلى طبيعة المجتمع العربي الذي يطالب الذكور بمهمات أكثر مشقة من الإناث

---

[11] انظر:

Olga Chudinovskikh, *international migration report 2012, The Russian Federation,* Lomonosov Moscow State University/ higher school of economics, p. 82.

[12] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية 2014**، ص 1.

[13] المرجع نفسه، ص 22.

من جهة أخرى. كما أنّ الهجرة إلى روسيا تتسم بطابع المغامرة في الكثير من الأحيان، وذلك لعدة أسباب من أهمها التباين الثقافي بين الحضارتين العربية والروسية من جهة، وكذا الصعوبات اللغوية التي يواجهها المهاجر من جهة أخرى، إضافة إلى البعد الجغرافي لروسيا عن البلاد العربية، لا سيما بلدان المغرب العربي.

الشكل (8)

توزيع المهاجرين المغاربة بأوروبا الشرقية بحسب الجنس

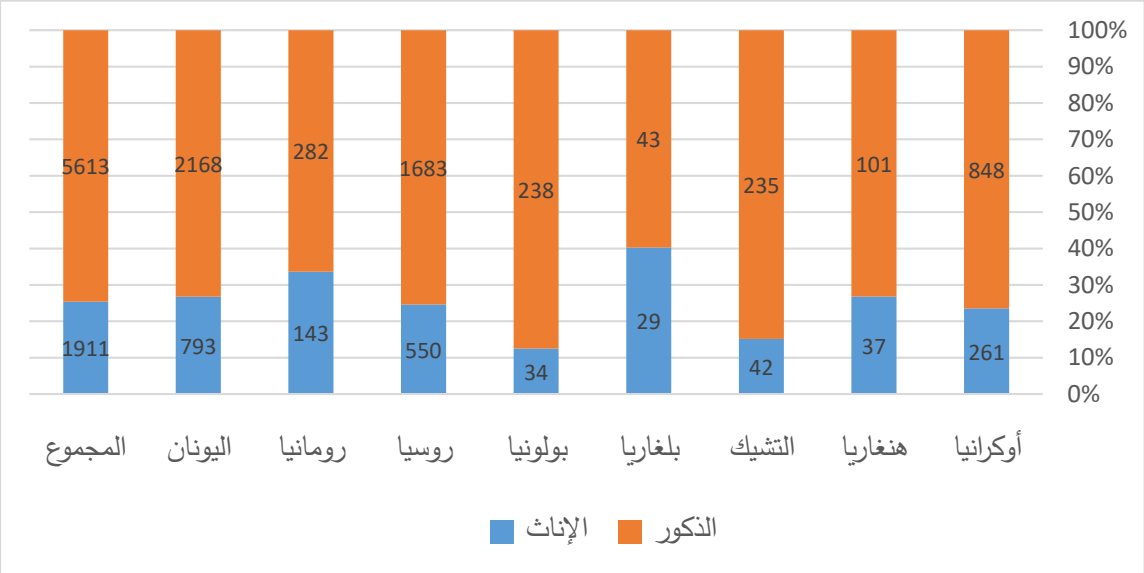

المصدر: الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج، **إحصائيات مغاربة العالم**.

إضافة إلى ذلك، فالفئات العمرية المهاجرة إلى روسيا تتسم بكونها فتية؛ ذلك أنّ الدولة الروسية تستقطب الفئات الأكثر فتوة وتعلمًا، لكونها الأكثر انسجامًا مع سوق العمل الجديد المؤسس على اقتصاد المعرفة. كما أنّ هذه النوعية من المهاجرين تتسم بالانضباط وسرعة الانسجام أكثر من غيرها.

إذًا، تتميز الهجرة العربية إلى روسيا بكونها هجرة شابة، فمن بين المهاجرين السوريين الراشدين خلال سنة 2011، يبلغ معدل المنتمين إلى الفئة العمرية المحصورة ما بين 18 و39 سنة والحاصلين على رخصة إقامة دائمة 84.18%، بينما يبلغ معدل الحاصلين على رخصة مؤقتة من الفئة العمرية نفسها 88.3%[14].

والجدير بالذكر أنّ هذه الفئات الفتية والأكثر تعلمًا هي الأكثر عددًا من الفئات العمرية الأخرى، كما أنها ستعمر في سوق الشغل الروسية لمدة طويلة قبل أن تصل سن التقاعد. بمعنى آخر ستساهم في تخفيض معدل الخصاص في الكفاءات وكذا معدل الإعالة من داخل المجتمع الروسي، وكذا التخفيف من وطأتها لمدة أطول. في واقع الأمر، تتسم الهجرة من البلدان المتوسطية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ببعد عالمي قوي، فبقدر ما أنها تستجيب للطلب على العمل في بلدان المصب في الخارج، فهي نتاج الصعوبات التي تواجه الشباب المهرة في العثور على فرص عمل ملائم في سوق العمل في بلادهم[15].

ب- الخريطة المهنية للمهاجرين العرب: مدى نخبوية المهن

إذا كانت هجرة ما بعد الحرب العالمية الثانية قد اتسمت بجلب السواعد التي ساعدت في إعمار أوروبا التي حطمتها الحرب، فإن هجرة السنوات الأخيرة من القرن العشرين والسنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين اتسمت بارتفاع كبير في عدد الكفاءات والنخب المهنية المهاجرة. فقد ارتفعت نسبة المهاجرين من خريجي التعليم العالي من مجموع المهاجرين في العالم بما يزيد على 50% فقط خلال الفترة بين 1995 و2000، وارتفع عددهم بذلك من 9.4 ملايين إلى 19.7 مليونًا خلال الفترة نفسها، هذا في حين ارتفعت أعدادهم إلى الضعف بالنسبة إلى المقيمين بدول أوروبا (التي تستقبل القسم الأوفر من الهجرة العربية). وانتقل عددهم من 2.5 مليون إلى 4.9 ملايين خلال عشرية التسعينيات. بل إنّ هذا التكالب على جذب الكفاءات الأجنبية والجنوبية منها بالأخص قد جعل من جاليات المهاجرين أكثر تعليمًا من السكان المحليين[16].

---

[14] انظر: Chudinovskikh, p. 57.

[15] فيليب فارج، وجان-بيير كاسارينو، وعبد القادر الأطرش، "الهجرة المتوسطية نظرة عامة"، في: **الهجرة المتوسطية: تقرير عام 2005**، تحت إشراف فيليب فارج، ترجمة أنور مغيث وشريف يونس، المعهد الجامعي الأوروبي (إيطاليا: 2007)، ص 25.

[16] جامعة الدول العربية، قطاع الشؤون الاجتماعية، إدارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، **التقرير الإقليمي لهجرة العمل العربية: هجرة الكفاءات: نزيف أم فرص؟** (القاهرة: 2008)، ص ت.

وفي الاتجاه نفسه، تتميز العمالة العربية الحالية بديار المهجر بتأهيلها العالي. يتألف هؤلاء المهاجرون من أناس تدربوا على نظم علمية ومهنية وثقافية تتضمن مديري مشاريع وأطباء وأكاديميين وتقنيين ذوي كفاءات عالية ومهندسين وعمالًا من المستوى المتوسط والمنخفض في قطاعات الرعاية الصحية والتعليم[17]. لقد سخّرت أميركا وكندا، ومن بعدها بلدان أوروبا الغربية، وحديثًا بعض بلدان أوروبا الشرقية بعد التحاقها بالاتحاد الأوروبي، جهدًا كثيفًا ومتعدد الوسائط لجلب السواعد الذكية التي أصبحت وقودًا أساسيًا لضمان القدرة على التنافس في عصر صارت فيه المعرفة والإبداع والابتكار أسلحة رئيسة للحفاظ على موقع في الخريطة الاقتصادية العالمية[18]. في الواقع، ثمة عنصران يفسران تنوع التركيب الاجتماعي – الاقتصادي للسكان المهاجرين في بلدان المصب؛ الأول مدة الهجرة: فكلما كان وصول الجماعة المهاجرة مبكرًا مالت لأن تكون أقل مهارة. وثانيًا: سياسات الهجرة وسوق العمل في بلدان المصب. ويبدو أنّ هذا العنصر الثاني له تأثير أقوى في السيرة الاجتماعية الاقتصادية للمهاجرين الوافدين[19].

في معظم أنحاء العالم، لا يُستخدم المهاجرون فقط لتأدية الوظائف التي يمتنع أصحاب البلد الأصليون عن تأديتها، وإنما يستخدمون أيضًا في أنشطة عالية القيمة، ويفتقد السكان الأصليون المهارات اللازمة لتأديتها[20]. والمهاجرون العرب يؤدون مهمات عدة من هذا الصنف الأخير، فقد تمكنوا من ولوج قمة مختلف القطاعات بدول الاستقبال، وشغلوا مناصب راقية علميًا واقتصاديًا وسياسيًا. ومن أهم القطاعات التي برز فيها العرب تاريخيًا قطاع التجارة والأعمال كما هو مبيّن في الشكل (9) أدناه.

فالوافدون العرب إلى روسيا عبارة عن رجال أعمال وأطباء وأطر. وذلك يرجع إلى حداثة الهجرة العربية إلى روسيا بصفتها دولة مندمجة في اقتصاد السوق، كما أنّ السياسة الاستقطابية الروسية تعتمد على جلب المهاجرين الأكفاء لا سيما على مستوى المال والأعمال.

---

[17] فارج وكاسارينو والأطرش، ص 24، بتصرف.

[18] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي لهجرة العمل العربية: هجرة الكفاءات: نزيف أم فرص؟ 2008**، ص ت.

[19] فارج وكاسارينو والأطرش، ص 25.

[20] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية 2014**، ص 1.

الشكل (9)

توزيع الشركات التي يملكها ويسيرها العرب بروسيا

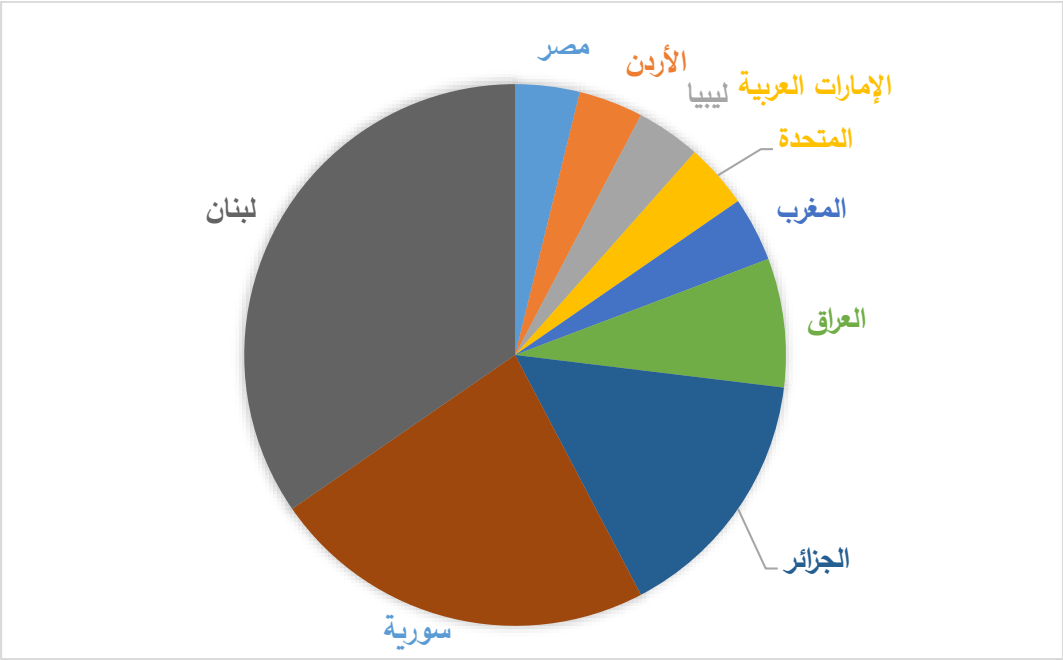

المصدر: تم إعداد هذا الشكل اعتمادًا على:

Elena Kulchina, "Three Essays on Foreign Entrepreneurs," A thesis submitted in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Graduate Department of Management, University of Toronto, Canada, 2012, pp. 98–99.

فالخريطة المهنية العربية بروسيا غنية بالكفاءات في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والعلمية والطبية؛ فعلى المستوى الاقتصادي، تعرف روسيا جالية أعمال عربية مهمة، لها وجود مشهود في عالم الأعمال الروسي، إذ يسيّر ويمتلك رجال الأعمال عددًا مهمًّا من الشركات[21]، يتقدمهم رجال الأعمال من لبنان، تليها على التوالي سورية، والجزائر، والعراق، والمغرب والإمارات العربية المتحدة وليبيا، والأردن، ومصر، انظر الشكل (9).

[21] انظر:

Elena Kulchina, "Three Essays on Foreign Entrepreneurs," A thesis submitted in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Graduate Department of Management, University of Toronto, Canada, 2012, pp. 98 – 99.

على المستوى العلمي، يزاول عدد مهم من الأساتذة مهماتهم بمؤسسات التعليم الجامعي ومعاهده؛ والدليل على ذلك عدد الأساتذة الجامعيين بموسكو، فالجالية السورية فقط وفي موسكو تحديدًا تضم 25 أستاذًا جامعيًا[22].

على المستوى السياسي، يضم المجلس الفيدرالي الروسي بين ثناياه سيناتورًا من أصل سوري، وهو زياد السبسبي[23].

أمّا على المستوى الطبي، فتعرف موسكو وحدها وجود 45 طبيبًا سوريًا[24]. في الوقت نفسه، تضم الجالية المغربية بروسيا مجموعة من الجمعيات من بينها جمعية المثقفين المغاربة التي تضم 13 عضوًا وكلهم أطباء[25].

ثانيًا: دور المهاجرين في ترشيد العلاقات العربية الروسية والإمكانات المتاحة

لا ترتبط الهجرة العربية إلى روسيا بالنظام العربي السائد، فسيادة نظام معيّن في دولة عربية لا يعني بالضرورة توجه مهاجريها إلى هذه البلاد أو تلك. ونسبة مهمة من مهاجري دول الممانعة تتجه إلى دول أوروبا الغربية وأميركا الشمالية، ونسبة مهمة من مهاجري دول الاعتدال تتجه إلى روسيا؛ ما يجعل الخريطة الهجراتية العربية ببلاد الاستقبال تتسم بالاستقلالية والذاتية نظرًا لاستقلال اهتمام الشعوب عن اهتمامات الأنظمة من جهة، ولاستقلال ما هو سياسي عما هو سوسيو اقتصادي من جهة أخرى. كما أنّ السياسات العامة، إن وجدت، بالبلاد العربية لا تضع أحوال الراغبين في الهجرة ضمن إستراتيجياتها. ويساعد هذا الواقع على بناء علاقات تحتية وقطاعية بين الدولة الروسية والعالم العربي، بغض النظر عن التوجهات السياسية والأيديولوجية للأنظمة السياسية في كلا النطاقين.

---

[22] انظر: كابشوك.

[23] انظر: هيثم التابعي، "المعارض السوري هيثم بدرخان: روسيا تخلت عن كل حلفائها ولن تهتم كثيرا إذا سقط الأسد"، **الشرق الأوسط**، العدد 11984 (20 أيلول/ سبتمبر 2011).

[24] انظر: كابشوك.

[25] محمد نبيل، "رسالة من موسكو: فصل المقال في ما بين صحافة التحقيق وروسيا من اتصال"، الحوار المتمدن، شوهد في 2017/1/30، في: http://bit.ly/2kL88mU

ولتنمية هذا الواقع، يجب أولًا بناء الجالية العربية بروسيا كيانًا متكاملًا أسوة بالجالية العربية في أميركا اللاتينية، لكن مع تصحيح المسار بإنشاء جمعيات وشبكات فعالة مترابطة في الداخل الروسي ومتداخلة مع المصالح العربية في مجالات تخصصها.

1. ضرورة بناء جالية فعالة بروسيا: درس أميركا اللاتينية

تتكون الروابط والجمعيات الوطنية العربية في روسيا بالأساس من خريجي مختلف المعاهد والجامعات الروسية وطلبتها. كما يقيم بصورة دائمة في روسيا رجال أعمال عرب يمارسون نشاطاتهم التجارية وغيرها. وتنضم إلى الجالية العربية في روسيا أعداد من الوافدين، ولكن أقل كثيرًا من العرب النازحين إلى الدول الأوروبية وأميركا. وتعود الدوافع الرئيسة لقدوم المواطنين العرب إلى روسيا إلى التحصيل العلمي ولمِّ شمل العوائل وممارسة الأعمال. ويشارك أكثر أفراد الجالية العربية في روسيا نشاطًا في الحياة الثقافية والاجتماعية، ويبادرون إلى تأسيس منظمات وروابط اجتماعية عربية، وإصدار مطبوعات في روسيا[26]. كل ذلك يمثّل النواة الأولى كتلك التي عرفتها الجالية السورية اللبنانية بأميركا اللاتينية.

لقد عرفت الجالية السورية اللبنانية وجودًا ملحوظًا في الحياة الاقتصادية في العديد من مدن أميركا اللاتينية، كمدينة ساو باولو التي يمكن عدّها نموذجًا مصغرًا للوجود العربي في هذه القارة. ففي السنوات ما بين نهاية القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين، عرفت المنطقة المحيطة بشارع دي ماركو وجود حوالى 500 محل تجاري يملكها رجال الأعمال السوريون واللبنانيون، وذلك يمثل نحو 80% من متاجر بيع الأقمشة والأثواب المتنوعة بالتقسيط. وكان لهم حضور مكثف بهذا الجزء من المدينة، حتى أنه كان يسمى "الأراضي التركية". امتلكت العلاقات داخل المجتمع السوري اللبناني بنية خاصة كالتي أصبحت شائعة في مجتمعات المهاجرين في أجزاء أخرى من العالم. استقر أول من وصل من بين هؤلاء المهاجرين العرب في المنطقة حول شارع 25 دي ماركو، فتوافدت موجات لاحقة من المهاجرين مستخدمة الاتصالات التي كانت موجودة حينئذ لتطوير العلاقة بين الإقامة والعمل في الحيز الحضري نفسه[27].

---

[26] كابشوك.

[27] Jose´ Renato de Campos Arau´ jo, Odair da Cruz Paiva & Carlos L. Rodriguez, “immigrants and entrepreneurs in sa˜o paulo, brazil: economic development in the brazilian ‘melting pot’, ” in: Craig S. Galbraith & Curt H. Stiles (eds.), *Developmental Entrepreneurship: Adversity, Risk، and Isolation* (Amsterdam: JAI Press, 2006), p. 307.

لم يقتصر التوافد اللبناني السوري على هذه المنطقة من أميركا اللاتينية فحسب، بل عرفت دول أخرى من هذه القارة قدوم أفواج المهاجرين من بلاد الشام أيضًا. فاستقر الوافدون الجدد في المدن لطبيعة الأعمال التجارية التي يمارسونها. لكنّ الارتباط بالأصل سيبقى مستمرًا، وعلى عدة مستويات.

من أجل فهم الاندماج الناجح للمهاجرين السوريين واللبنانيين في القطاعات التي كان يحتلونها بقوة، يجب التركيز بإيجاز على خصائص المجموعات الوافدة إلى ساو باولو. تتجسد أهم الخاصيات في الهوية المتعلقة بقوة في الدين المشترك والأصل الإقليمي المشترك، ما ساهم في خلق رأس المال الاجتماعي لهذه المجموعة الذي سمح باستيعاب التيارات المستمرة من القادمين الجدد. كما عززت هذه الروابط أيضًا هوية المجموعة عن طريق دمج الأقارب والأصدقاء ومواطنيهم، وجعلت من الممكن خلق نوع من الذاتية المتجانسة التي مع الوقت وضعت المدارس والنوادي والجمعيات والمؤسسات الخيرية لخدمة احتياجات المجتمع. والسمة الثانية هي نمط الزواج الذي اعتمده أعضاء الجالية المهاجرة "التركية"[28].

لم تتمكن الجالية السورية اللبنانية من الانصهار بسهولة في المجتمعات الجديدة، وهذا الأمر يعود إلى الثقافة الجمعية السائدة بين أبناء المجتمع العربي، وولدت التضامن بين مختلف الفئات والأصناف الاجتماعية بغض النظر عن الآخر. هذا الواقع التضامني نفسه تعيشه الجالية العربية في روسيا اليوم، والمقاهي العربية خير دليل عليه؛ ففي موسكو يوجد كثير من المقاهي العربية أو التي يستثمرها عرب، ومن ثمّ يرتادها أفراد الجالية المقيمون في العاصمة الروسية. تبدأ المقاهي حياتها اليومية في وقت مبكر من اليوم عادة، ويذهب إلى هذه المقاهي العربية العاطلون عن العمل وفيها يجدون من يسدد لهم ثمن فنجان قهوة ونرجيلة لقضاء ساعة أو ساعات صباحية[29]. في الوقت نفسه، يمارس العرب في روسيا أعمالًا تتطلب التكاثف الجماعي لتسييرها كالمقاهي والمطاعم والشركات.

مقارنة بالأعراق الأخرى التي استقرت في منطقة ساو باولو، يتزوج السوريون واللبنانيون أساسًا من صميم المجموعة. ويتم هذا على الرغم من الاختلال الكبير بين أعداد الذكور والإناث في السنوات الأولى من الهجرة، عندما كان معظم الوافدين في بداية الأمر من الذكور. لحل مشكلة بناء الأسرة، كان من المعتاد بالنسبة إلى المهاجرين العودة إلى بلدانهم الأصلية عندما يحين وقت زواجهم، وذلك بهدف العثور على الزوجة من الثقافة والدين المشتركين، وربما من القرية نفسها. عزز هذا النمط حالة الانطواء الكبيرة بين أوائل الوافدين من أفراد

---

[28] Ibid.

[29] منذر بدر حلوم، "عبادة موسكوفية خاصة"، **روسيا ما وراء العناوين**،2013/7/17، شوهد في 2017/1/31، في:
http://arab.rbth.com/arts/2013/07/17/23937.html

الجالية العربية المهاجرة، ذلك أنّ هذه الحالة تنبع من طبيعة ثقافات مناطق الوفود. وقد شرعت ممارسة العودة إلى سورية أو لبنان للعثور على الزوجة في الانخفاض ببطء بعد عام 1920. ففي التعداد السكاني لعام 1927، كانت نسبة الزواج من داخل الثقافة نفسها في المجتمع السوري لا تزال أعلى من 50%، في حين انخفض هذا المعدل بين المهاجرين الإيطاليين إلى نحو 20%. والجانب المهم والمعروف بالنسبة إلى هؤلاء المهاجرين، هو أنّ الغالبية العظمى من هؤلاء الوافدين عبارة عن شباب وذكور جاؤوا إلى البرازيل للعمل بجد، وتراكم الموارد والثروات النقدية أملًا في العودة بسرعة إلى مسقط الرأس بصفة دائمة، وذلك بعد تحقق هذه المرام كاملة[30].

إنّ هذا الواقع الديموغرافي الذي يطغى فيه الذكور شبيه بنظيره الذي تعيشه الجالية العربية بروسيا اليوم كما يوضحه الشكل (8)، أضف إلى ذلك أنّ معدل الارتباط بالبلد الأصل في تكوين أسرة من زوجة عربية لا يزال قائمًا عند العديد من المهاجرين العرب بروسيا.

من الأفضل أن تُستوحى الطريقة التي يتم بها بناء الواقع الهجراتي العربي في روسيا من الواقع الهجراتي الذي ساد في البدايات الأولى للتوافد العربي على أميركا اللاتينية، لا سيما أنّ المجتمع العربي بروسيا يتجه بقوة إلى ميدان الأعمال الحرة لما تتيحه من حرية التصرف في الزمن الخاص من دون أن يتدخل طرف ثالث. ويتيح هذا الواقع الفرصة لبناء تنظيمات ومؤسسات عربية اجتماعية ودينية وسياسية واقتصادية مشتركة ومتغلغلة في المجتمع الروسي. فمعظم العرب الذين يعيشون في موسكو يعملون في استثمارات خاصة صغيرة، وكثيرون منهم يملكون حرية ترتيب ساعات اليوم، بين المقهى والعمل والنوم. وأمّا الطلاب الدارسون في جامعات موسكو ومعاهدها، فليس هناك ما يحد من حرية حركتهم خاصة في عطلة الصيف[31]. كذلك، ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تجسدت مصلحة المهاجرين العرب في أميركا اللاتينية في ممارسة الأعمال الحرة في بعض المزايا التي يتيحها هذا النوع من النشاط. من أهم هذه المزايا نذكر الطبيعة المستقلة لهذا النشاط وتنظيم المشاريع أساسًا للعمل، والاعتماد على الجهد الفردي، وإمكانية الحصول على عوائد مالية بسرعة فائقة. بموجب هذه الأنماط برز رأس مال اجتماعي من داخل هذه الجالية أنتج بنية هرمية على أساس الأقدمية، والتي بموجبها يقوم القدماء بمساعدة القادمين الجدد (أو 'دعوة' أعضاء جدد، على سبيل المثال، أولئك الذين انضموا إلى المجموعة عن طريق الزواج) عبر هذا رأس المال المادي والاجتماعي.

---

[30] Jo, Paiva & Rodriguez, p. 308.

[31] حلوم.

بناء على ذلك، تشكلت أنماط مشتركة من الدعم السائد، بما في ذلك مجموعة من الطقوس الممهدة للولوج إلى الشبكة العرقية التي تشرعن صدقية الأعضاء الجدد، وتمنحهم رأس المال الاجتماعي اللازم. وعلى غرار ما يحدث نتيجة للزواج من داخل الجالية، فالعلاقات الاقتصادية الداخلية التي تمت تنميتها من داخل الجالية تدعم وتعزز روابط الهوية المستمدة من التراث الثقافي المشترك. لذلك، لا ينبغي التقليل من هذه الشروط، لأنها تخلق بدائل لنمو الأعمال التي لولاها لكانت مقصورة على قدرة عمل الأسرة النووية. إذًا، يمكن لمجتمع المهاجرين أن ينمو ويصبح أقوى، وبهذا يتوفر على فرص متزايدة للتميز. مع هذا، يمكن للشيوخ الذين كانوا في الأعمال التجارية لفترات أطول أن يصلوا إلى مواقع إستراتيجية في مجال التجارة أو التصنيع في المجتمع[32].

وأدى هذا الواقع إلى بروز نخب عربية من رجال الأعمال ككارلوس سليم الحلو المتصدر لملياردیرات العالم[33] اللبناني الأصل والمتزوج من بنت أسرة مكسيكية لبنانية سمية ضومط جميل، وكذلك بروز نخب سياسية كالسوري الأصل من أبوين سوريين كارلوس منعم الذي كانت زوجته الأولى سليمة فاطمة جمعة سورية أيضًا.

الجدير بالذكر أنّ الخريطة الديموغرافية بالعالم العربي تتيح الفرصة للجالية المهاجرة للتمدد أفقيًا وعموديًا بالمجتمع الروسي الذي يعاني معدلَ تكاثر ديموغرافي سلبيًا لا يسمح بتجديد الأجيال بتاتًا[34]، وارتفاع نسبة الإناث مقارنة الذكور. علاوة على أنّ روسيا محاطة بدول توقف فيها تجديد الأجيال[35]، ما يعنى أنّ الحل الأمثل هو استقدام المهاجرين من دول تعرف معدلات تكاثر طبيعي إيجابية أو تعرف ثقافة اجتماعية تساعد على تكاثر يؤهل لتجديد الأجيال بسلاسة كتعدد الزوجات في المشرق العربي.

في هذا الاتجاه، تشير أحدث تقديرات الأمم المتحدة للوضع السكاني في العالم إلى أنّ مجموع سكان العالم العربي قد بلغ حوالى 370 مليون نسمة في 2013، مرتفعًا من 284.4 مليون نسمة في عام 2000، مسجلًا

---

[32] Jo, Paiva & Rodriguez, p. 308.

[33] انظر:

Alexis Bautzmann, *Atlas géostratégique 2011: Un monde de richesses*, Diplomatie: Affaires stratégiques et relations internationales, Hors-Série 4 (Décembre 2010 – Janvier 2011) , P. 17

[34] Ibid, p. 12 .

[35] انظر:

Sophie Clairet & Alexis Bautzmann, *Atlas géostratégique 2012: Alliances – Richesses – Risques internationaux*. Diplomatie [Texte imprimé]: affaires stratégiques et relations internationales no. 6 (Décembre-Janvier 2011-2012), p. 18.

معدل نمو سنوي يبلغ حوالى 2 % خلال تلك الفترة. وبذلك، يمثّل سكان الوطن العربي نحو 5.2% من جملة سكان العالم لعام 2013. وتؤكد البيانات أنّ نصيب سكان الوطن العربي من جملة سكان العالم ارتفع مقارنة بعام 2000؛ إذ لم تتجاوز نسبتهم عندئذ 4.6%. ويمكن إرجاع تلك الزيادة إلى الارتفاع الذي طرأ على معدل نموهم السنوي؛ فقد ارتفع معدل نمو سكان الوطن العربي ارتفاعًا طفيفًا من 2.03% خلال الفترة من 2000 إلى 2010 ليصل إلى 2.07% خلال الفترة بين عامي 2010 و2013. وتجدر الإشارة إلى أنّ معدلات نمو السكان المسجلة في الوطن العربي تفوق المستوى العالمي؛ إذ نما سكان العالم بمعدل سنوي قدره 1.2% بين عامي 2000 و2010، وانخفض المعدل بعض الشيء ليصل إلى 1.16% بين عامي 2010 و2013[36].

2. ديبلوماسية الدياسبورا ونقل الخبرة: أي دور لجمعيات المهاجرين وشبكاتهم بروسيا؟

في الواقع، كان للتحولات الكمية والنوعية التي عرفتها الهجرات العربية في العقود الأخيرة، والمتمثلة خصوصًا بتنوع الخصائص المهنية والتعليمية للمهاجرين العرب، دور مباشر في تغيير طبيعة العلاقات بين بلدان إقامة المهاجرين العرب وبلدانهم الأصلية؛ وذلك عبر إقامة شبكة علاقات جديدة تؤدي فيها الجمعيات المهنية دورًا أساسيًا. وتنامي الجمعيات العربية المهنية في الخارج لخير دليل على تنامي رابطة المهاجرين العرب بمجتمعاتهم الأصلية وشعورهم بالانتماء إليها، وهو ما يؤشر على بروز ملامح للشتات العربي في عصر عولمة الهجرات الدولية[37].

وهذا الشتات له دور بارز في نقل المعرفة من بلد إلى آخر. وتعدّ عمليات نقل المعرفة والمهارات والخبرات والأفكار والثقافة المكتسبة من دول المهجر إحدى الوسائل المهمة لاستفادة بلد المنشأ من المغتربين. وهي تؤثر تأثيرًا إيجابيًا في رأس المال البشري في بلدان المنشأ. وتختلف قدرات المهاجرين على نقل المعرفة والمهارات والخبرات لبلد المنشأ، باختلاف نوعية تلك الخبرات، ومدى توافقها مع الخبرات المطلوبة في بلد المنشأ، وكذلك مدى جودة القنوات التي توفرها بلدان المنشأ لتسهيل نقل تلك الخبرات[38].

إنّ تنامي العمل الجمعي المهني والاجتماعي من بين مظاهر هذا العهد الجديد للهجرات العربية. وقد وجد العمل الجمعي في المهاجرين الجدد العنصر الأساسي والفعال في توطيد الجسور بين بلدان الإقامة والبلدان الأصلية للمهاجرين، وترسيخ مدى ارتباط المهاجر العربي بمختلف القضايا التي تخص مجتمعه الأصلي، كما كان ذلك

---

[36] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية 2014**، ص 8.

[37] عبد القادر لطرش، "مجالات مساهمة الباحثين الاجتماعيين العرب في الخارج"، **إضافات**، العدد 11 (صيف 2010)، ص 72.

[38] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية 2014**، ص 5.

في الماضي، خاصة في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، فقد كانت الجمعيات الطلابية العربية والمسلمة المقيمة في أوروبا تضطلع بدور سياسي ريادي[39]. في هذا الاتجاه، يجب تشجيع الكفاءات على الاستثمار في بلد المنشأ وتطوير فرص التعاون وإمكانياته بين البلدان العربية. يتأتى ذلك من خلال توفير قواعد البيانات الخاصة بالكفاءات المغتربة، وتطوير الروابط والصلات بين رابطات الجاليات المغتربة، والحفاظ على صلات قوية مع المغتربين من ذوي المهارات، وكذلك الربط الشبكي عبر شبكات الاتصال الحديثة ووسائلها، والعمل على تدعيم الشراكات بين الكفاءات المغتربة والمؤسسات والهيئات الوطنية المناظرة لمجالات تخصصهم بالخارج، بما يساهم في نقل المعرفة والتقدم التقني والمعرفي إلى بلد المنشأ[40].

لا يخلو أي بلد يقيم فيه المهاجرون في الوقت الحاضر من مؤسسات جمعية ذات طابع مهني، وتنموي، واجتماعي أو اقتصادي، سواء أكانت مؤسسات جهوية أم وطنية. وقد ارتقى العمل الجمعي لدى الكثير من الجاليات العربية المقيمة في الخارج، ليشهد تأسيس تجمعات أو كونفدراليات وطنية تجمع عددًا من الجمعيات أو المؤسسات الوطنية المتعددة التخصصات، كما هو الشأن بالنسبة إلى الهجرات المغربية[41].

تعرف روسيا في هذا الاتجاه العديد من الجمعيات العربية، ونموذج هذه الجمعيات رابطة المغتربين المصريين في روسيا "الجالية المصرية" التي تأسست سنة 2014 وتم تسجيلها لدى السلطات الروسية، وأصبحت هذه الرابطة مؤسسة رسمية ترعى شؤون المصريين المقيمين في روسيا. أصبح للجالية المصرية الحق في التواصل مع المؤسسات الحكومية الروسية كافة لبحث إمكانية تقديم خدمات ومساعدات للمصريين، وستكون أولى خطوات الرئيس ومجلس إدارة الرابطة إجراء لقاءات مع مدير إدارة الهجرة الروسية الفيدرالية، لبحث مشكلات إقامة المصريين وإيجاد حلول عملية لها وفق القوانين المعمول بها، وإجراء لقاءات مع رؤساء الجالية الفلسطينية والسورية واليمنية والمغربية لبحث تشكيل لجنة تنسيق وتعاون على الأراضي الروسية[42]. إنّ مثل هذا الفعل يمكّن الجاليات العربية من بناء لوبيات تستطيع الضغط على صانع القرار الروسي، جهويًا في مرحلة أولى

---

[39] لطرش، ص 72.

[40] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية 2014**، ص 83.

[41] لطرش، ص 72.

[42] مؤمن مختار، "بالصور.."العدل الروسية" توافق على إنشاء أول جالية مصرية رسمية بموسكو الإثنين"، **اليوم السابع**، شوهد في 2017/2/2، في: http://bit.ly/2kH8St7

بصناعة موطئ قدم مريح للجالية العربية اقتصاديًا واجتماعيًا، ثم التحرك بعد ذلك للتأثير في مراكز القرار المركزية لخدمة القضايا العربية أسوة باللوبيات التشيكية والصربية... إلخ، في الولايات المتحدة الأميركية[43].

في اتجاه آخر، تعد الجمعيات المهنية والعلمية للباحثين والأطباء والمهندسين والاقتصاديين وخريجي الجامعات والمعاهد الأجنبية أحد أوجه العمل الجمعي المعولم للمهاجرين العرب. لذا، يجب تشجيع بناء جمعيات شبكات لمختلف مكونات الهجرات العربية المعاصرة، بمن فيها من الباحثين الاجتماعيين، وذلك لإدماجها في مختلف الأنشطة البحثية والعلمية الموجود في بلدانها الأصلية، وتفعيل إسهاماتها العلمية بدلًا مما نسجله اليوم من إقصاء وتهميش[44].

إنّ شبكات المعرفة في الشتات هي عبارة عن تركيبات اجتماعية قادرة على تعريف المهارات والمعرفة المنتجة في سياق معيّن والتقاطها وتحريكها، وعلى استخدام سياق آخر. وهذا النوع من المبادرات لا يتم أبدًا بصفة مباشرة. وعلى العكس من ذلك، فإن الأشخاص الذين يعملون في بيئات عمل مختلفة يحظون عمومًا بفرص قليلة للقاء ضمن مسارات عملهم المعتادة، وعندما يفعلون، يكونون غالبًا مطالبين بالتغلب على اختلافات مهمة في عدة مجالات؛ ولذلك يصبح من الأمور المطلوبة فترة لإحداث نوع من الملاءمة[45].

تطرح الجمعيات العلمية للباحثين في الخارج بوصفها القناة المؤسساتية الفعالة، والتي يمكن من خلالها تفعيل دور الكفاءات العربية باتجاه مجتمعاتها الأصلي؛ لضمان ديمومة علاقة الكفاءات العربية مع مجتمعاتها عبر دعم أنشطتها، وإدماجها في مجالات تخصصاتها كلما اقتضت الحاجة، من خلال الاستشارات الدورية، وحتى المساهمة في إقامة الكثير من السياسات القطاعية[46]. في هذا الإطار، استخدمت دانا دمينسكو مفهوم "المهاجر المتصل" نموذجًا للأشخاص الذين هم في حالة حركة، فلا يفقدون صلاتهم بمجتمعاتهم عندما يغادرون إلى مكان آخر، بل على العكس يزيدون هذه الصلات بأن يضموا إليها الأشخاص الذين قابلوهم خلال مسار هجرتهم[47].

---

[43] انظر:

Maya, “Une diplomatie des diasporas? La mobilisation des diasporas «yougoslaves » aux États-Unis et leur influence sur la politique étrangère américaine pendant les guerres balkaniques des années 1990،” *Relations internationales*, vol. 1, no. 141 (2010), pp. 83-97.

[44] لطرش، ص 73.

[45] ويليام تيرنر وآخرون، "شبكات المعرفة في الشتات"، ترجمة شكري الريان، **إضافات**، العدد 11 (صيف 2010)، ص 13-14.

[46] لطرش، ص 73.

[47] تيرنر وآخرون، ص 15.

إنّ نقل العلوم والمشاركة في تنمية المجتمعات العربية يتطلبان مشاركة وإدماجًا للجميع، بمن فيهم الباحثون الاجتماعيون. لذا، فإن إسهام الباحثين الاجتماعيين العرب المقيمين في الخارج يطرح نفسه آلية من آلية مشاركة الكفاءات العربية في تطوير بلدانها وتنميتها. ومن ثمّ، يجب أن يندرج إشراك الباحثين الاجتماعيين ضمن أولويات المؤسسات الوطنية والإقليمية المعنية بالتعليم العالي والبحث العلمي في البلدان العربية[48]. أضف إلى ذلك ضرورة تشجيع الكفاءات على الاستثمار في بلد المنشأ وإقامة علاقات تجارية واقتصادية، وخاصة في القطاعات الواعدة لتحقيق التنمية المستدامة في بلد المنشأ، ووضع إستراتيجيات وطنية للتواصل مع الكفاءات المغتربة[49].

خاتمة

بناء على ما سبق، وجب القيام بما يلي:

- إنشاء مصالح وأقسام من داخل مختلف المؤسسات القطاعية الرسمية المعنية بالدول العربية، هدفها التواصل مع مؤسسات الجالية العربية بروسيا كل بحسب تخصصه.
- إقامة مراكز استماع بالقنصليات والسفارات العربية لاستقبال المهاجرين ومتابعة مشكلاتهم، مع العمل على إدراجهم في الهيئات المدنية بروسيا، قصد صد أي انحراف مستقبلي لهؤلاء الوافدين العرب.
- تنظيم تظاهرات موسمية يتم خلالها توعية المهاجرين بأهم القضايا العربية، وتوجيه اللوبيات والكفاءات العربية للعمل على مواجهتها عبر السبل الدبلوماسية السلمية.
- إنشاء مراكز أبحاث مزدوجة اللغة عربية – روسية في مختلف التخصصات بالجامعات العربية الكبرى، قصد التواصل المدروس مع الدولة الروسية، والاستفادة من قوتها العلمية والتكنولوجية.
- إنشاء نوادٍ للتواصل الاجتماعي بين النخبة والكفاءات العربية بروسيا من جهة، والمسؤولين الرسميين بالسفارات والقنصليات العربية بهذا البلد من جهة ثانية، قصد تحطيم الجدران التي سادت منذ الحرب الباردة.

---

[48] لطرش، ص 73.

[49] جامعة الدول العربية، **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية 2014**، ص 84.

- التواصل مع مختلف الفاعلين المحليين بروسيا، بدءًا بالأقاليم التي لا تمارس فيها أي عنصرية تجاه العرب، وانتهاء بالأقاليم التي تضم أكبر عدد من حليقي الرؤوس.
- تنظيم موائد علمية تضم النخبة الروسية حول المواضيع التي تلتحم فيها القضايا العربية بالقضايا الروسية.
- إنشاء مؤسسات لتدريس اللغة والثقافة العربيتين في مختلف الأسلاك التعليمية بروسيا، مع وضع نظام خاص يسمح للروس بولوجها.

المراجع

1. العربية

تيرنر، ويليام وآخرون، "شبكات المعرفة في الشتات"، ترجمة شكري الريان، **إضافات**، العدد 11 (صيف 2010).

جامعة الدول العربية، قطاع الشؤون الاجتماعية، إدارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة. **التقرير الإقليمي لهجرة العمل العربية 2006**. القاهرة: 2006.

_____. **التقرير الإقليمي لهجرة العمل العربية: هجرة الكفاءات: نزيف أم فرص؟ 2008**. القاهرة: 2008.

_____. **التقرير الإقليمي للهجرة الدولية العربية: الهجرة الدولية والتنمية 2014**. القاهرة: 2014.

فارج، فيليب وجان–بيير كاسارينو وعبد القادر الأطرش. **الهجرة المتوسطية نظرة عامة، في الهجرة المتوسطية: تقرير عام 2005**، تحت إشراف فيليب فارج، ترجمة أنور مغيث وشريف يونس، المعهد الجامعي الأوروبي. إيطاليا: 2007.

كابشوك، أرتيوم. "كيف تعيش الجاليات العربية في موسكو؟" برنامج بانوراما، قناة **روسيا اليوم**، 2011/5/1، في:

- http://bit.ly/2jECx8A

لطرش، عبد القادر. "مجالات مساهمة الباحثين الاجتماعيين العرب في الخارج"، **إضافات**، العدد 11 (صيف 2010).

الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج. **إحصائيات مغاربة العالم**.

2. الأجنبية

Bautzmann, Alexis. *Atlas géostratégique 2011: Un monde de richesses*. Diplomatie: Affaires stratégiques et relations internationales, Hors-Série 4 (Décembre 2010 – Janvier 2011).

CERED, *Les Marocains résidants à l'étranger, Analyse des résultats de L'Enquête sur l'insertion socio-économique dans les pays d'accueil* (2007).

Chattou, Zoubir. *Migrations marocaines en Europe: Le paradoxe des itinéraiares*. Paris: l'Harmattan, 1998.

Chudinovskikh, Olga. *international migration report 2012, The Russian Federation.* Lomonosov Moscow State University/ higher school of economics.

Clairet, Sophie & Alexis Bautzmann. *Atlas géostratégique 2012: Alliances - Richesses - Risques internationaux*. Diplomatie [Texte imprimé]: affaires stratégiques et relations internationales no. 6 (Décembre-Janvier 2011-2012).

Denisova, Galina. "Modern Migration Trend in the south of Russia: a New Challenge?." *The Russian Academic Journal*. vol. 29, no. 3 (2014).

Fargues, Philippe (ed.). *Mediterranean Migration: 2005 report*. European University Institute, Florence, Italy : 2005.

_____. *Mediterranean Migration: 2006-2007 report*. European University Institute, Florence, Italy: 2007.

_____. *Mediterranean Migration: 2008-2009 report*. European University Institute, Florence, Italy: 2009.

Galbraith, Craig S. & Curt H. Stiles (eds.). Developmental Entrepreneurship: Adversity, Risk، and Isolation. Amsterdam: JAI Press, 2006.

Kulchina, Elena. "Three Essays on Foreign Entrepreneurs." A thesis submitted in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Graduate Department of Management, University of Toronto. Canada, 2012.

Maya, Kandel. "Une diplomatie des diasporas ? La mobilisation des diasporas «yougoslaves» aux États-Unis et leur influence sur la politique étrangère américaine pendant les guerres balkaniques des années 1990." *Relations internationales*, vol. 1, no. 141 (2010).

Menkiszak, Marek. "Responsibility to protect... itself?: Russia's strategy towards the crisis in syria." The Finnish Institute of International Affairs, Briefing Paper 131 (May 2013).

Nguni, Eliam. *Foreign Students in Higher Education: Comparative Statistical Data for 1980 and 1990*. United Nations Educational, Scientific and Cultural Organisation, Division of Statistics on Education. Paris (April 1993).

Siar, Sheila. *Migration in the Russian Federation: A Country Profile 2008*, International Organization for Migration, Geneva, Switzerland (October 2008).

OECD, *International Migration Outlook 2014*. Paris: OECD Publishing, 2014, at: http://dx.doi.org/10.1787/migr_outlook-2014-en